

الرجاء في الله ☐ عبادۃ القلوب التي تصنع الأمل وتدفع إلى العمل



الاثنين 24 أغسطس 2026 05:00 م

يمثل الرجاء في الله واحدًا من أجل أعمال القلوب وأعظمها أثرًا في حياة المؤمن، فهو ليس أمنية عابرة ولا انتظارًا بلا عمل، وإنما تعلق القلب بفضل الله ورحمته وإحسانه، مع السعي في أسباب الطاعة والإصلاح ☐ والمؤمن يعيش بين ذنب يرجو مغفرته، وعمل صالح يرجو قبوله، ونقص يرجو إصلاحه، وهداية يرجو ثباتها، وقرب من الله يرجو بلوغه، ولذلك يصبح الرجاء قوة تحرك القلب إلى العمل وتحمي الإنسان من اليأس والقنوط ☐

ولا ينفصل الرجاء الصادق عن الخوف والعمل وحسن الظن بالله، فكما يحذر المؤمن ذنوبه وعواقب التقصير، فإنه لا ييأس من رحمة ربه، ولا يجعل ثقته في عمله أو قوته أو غيره من المخلوقين، وإنما يأخذ بالأسباب وقلبه متعلق بالله وحده ☐ ومن هنا أقام القرآن والسنة منهجًا متوازنًا يجمع بين الرجاء والتوكل والعمل، حتى يبقى المؤمن سائرًا إلى الله بقلب مطمئن ونفس لا يقهرها اليأس ☐

الرجاء ليس أمنية بلا عمل

الرجاء الحقيقي يدفع صاحبه إلى الطاعة ولا يدفعه إلى التواكل، ولذلك قال ابن القيم في «مدارج السالكين»: «أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصلح إلا مع العمل»، وهو معنى واضح في قول الله تعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف: 110].

فالذي يرجو مغفرة الله يسلك طريق التوبة، والذي يرجو قبول عمله يجتهد في الإخلاص، والذي يرجو الجنة يعمل بما يقربه منها، والذي يرجو النجاة من النار يتبعد عن أسباب سخط الله ☐ أما الرجاء الذي لا يصاحبه عمل ولا توبة ولا مجاهدة للنفس فليس هو الرجاء الذي جاءت به نصوص الوحي ☐

وقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: «لا يرجو عبدٌ إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه»، وهي كلمة تجمع منهجًا كاملاً في السير إلى الله، إذ لا يخاف المؤمن أن يظلمه ربه، فאלله سبحانه لا يظلم أحداً، وإنما يخاف العبد من آثار ذنوبه وتقصيره ☐

وجاء في الحديث أن النبي ☐ دخل على مريض فقال له: «كيف تجدك؟ فقال: أرجو الله وأخاف ذنوبي، فقال: ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف» رواه ابن ماجه ☐

القلب لا يتعلق إلا بالله

من حقيقة الرجاء أن يكون القلب متعلقًا بالله قبل كل شيء، فلا يجعل الإنسان ثقته المطلقة في قوته أو علمه أو ماله أو علاقاته أو الأشخاص من حوله، وإنما يستعمل الأسباب ويعلم أن نتائجها بيد الله ☐

ولهذا قال الله تعالى: (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب) [الانشراح: 7-8]، فجعل الرغبة والتطلع والطلب متجهًا إليه سبحانه ☐

وقال تعالى: (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ) [المائدة: 23]، فالتوكل والرجاء يجتمعان في القلب، لأن الإنسان لا يتوكل حقيقة إلا على من يرجو فضله ونصره وكفايته ☐

وقد شرح ابن تيمية هذا المعنى مبينًا أن تعلق القلب بالمخلوق يجعله أسيرًا له، بينما تعلقه بالله يحرره مما سواه، وأن طمع العبد في فضل ربه ورحمته يزيد عبوديته لله ويقطع تعلقه القلبي بالخلق ☐

ومن هنا جاءت الحكمة المشهورة: «استغن عمن شئت تكن نظيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره»، لتبين كيف أن احتياج القلب للمخلوق قد يورثه التعلق والضعف، بينما افتقاره إلى الله أصل العبودية والعزة □

بين الخوف والرجاء

لم يجعل الإسلام الرجاء منفردًا عن الخوف، وإنما أقام حياة القلب على التوازن بينهما، فقال الله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ) [الإسراء: 57].

فالعبد يرجو رحمة الله، وفي الوقت نفسه يخشى عذابه، ويطلب القرب منه بالعبادة والمحبة والعمل الصالح، فلا يحمله الرجاء على الأمن من مكر الله، ولا يحمله الخوف على القنوط من رحمته □

وقال أبو علي الروذباري رحمه الله: «الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهب صار الطائر في حد الموت».

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: «يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب على رجائي لك مع الأعمال، لأنني أجدني أعتمد في الأعمال على الإخلاص، وكيف أحرزها وأنا بالآفات معروف؟ وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك، وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف؟».

حسن الظن بالله حياة

يرتبط الرجاء ارتباطًا وثيقًا بحسن الظن بالله، ولذلك كان من آخر ما أوصى به النبي □ أمته أن تلقى ربها وهي تحسن الظن به □ ففي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله □ يقول قبل موته بثلاث: «لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وهو يُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ» [رواه مسلم: 2877].

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء» [رواه أحمد: 16016].

وليس حسن الظن بالله أن يستمر الإنسان في المعصية ثم ينتظر المغفرة دون توبة، وإنما أن يعرف سعة رحمة ربه، فيدفعه ذلك إلى الرجوع إليه، ويعلم أن باب الله لا يغلق في وجه تائب صادق □

ويؤكد هذا المعنى الحديث القدسي الذي رواه النبي □ عن ربه: «يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي» [رواه الترمذي: 3540].

وهكذا يصبح الرجاء دافعًا للعودة لا مبررًا للإصرار، ومصدر قوة للمذب حتى لا يقول إن ذنوبه أكبر من أن تغفر، فمهما عظمت الذنوب فإن رحمة الله أوسع لمن صدق في التوبة والإنابة □

رجاء القبول بعد الطاعة

لا ينتهي الرجاء بمجرد أداء العمل الصالح، بل يظل المؤمن بعد العمل راجيًا أن يتقبله الله منه، فلا يغتر بطاعته ولا يطمئن إلى نفسه، وإنما يرى أن التوفيق للعمل نعمة وأن القبول نعمة أخرى □

وقال ابن تيمية رحمه الله إن الرجاء والخوف يتعلقان كذلك بالأعمال الماضية، لأن عاقبتها ما تزال في المستقبل، فيرجو العبد أن يكون الله قد قبل عمله فيثيبه ويرحمه، ويخاف أن يكون العمل قد رد بسبب نقص أو خلل □

وهذا الشعور يجعل المؤمن أكثر تواضعًا بعد الطاعة، فلا يرى لنفسه فضلًا على الله، ولا يجعل عبادته سببًا للعجب، وإنما يجمع بين العمل والإخلاص والدعاء والرجاء في القبول □

الرجاء يشمل أمور الدنيا

الرجاء في الله لا يقتصر على المغفرة والجنة والنجاة في الآخرة، بل يمتد إلى حاجات الدنيا كلها، فيرجو المؤمن من ربه الرزق والزواج والذرية والوظيفة والشفاء وكشف الكرب ورد الغائب والعثور على المفقود وتيسير الأمور □

ومن أعظم صور ذلك ما حكاه القرآن عن نبي الله يعقوب عليه السلام بعدما طال غياب يوسف، فلم يسمح للحزن أن يتحول إلى يأس، وقال لأبنائه: (يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُّوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) [يوسف: 87].

وهذه الآية تقدم للمؤمن منهجًا في مواجهة الأزمات، فمهما طال البلاء لا ينقطع الأمل، ومهما انسدت الأسباب لا يغلق باب الله، ومهما بدت الحلول بعيدة يبقى المؤمن عاملًا وباحثًا وساعيًا وهو يرجو فرج ربه □

فالرجاء لا يعني ترك الأسباب، بل كان يعقوب عليه السلام يقول لأبنائه: (اذهَبُوا فَتَحَسَّسُوا)، فجمع بين العمل والأمل، وبين البحث في الأرض والثقة بمن بيده تدبير السماء □

الرجاء يصنع إنساناً جديداً

إن الإنسان الذي يمتلئ قلبه بالرجاء لا تكسره عثرة، ولا تجعله خطيئة يائساً من نفسه، ولا يدفعه تأخر الإجابة إلى سوء الظن بالله، لأنه يعرف أن الله حكيم رحيم وأن تدبيره لعبده أوسع من إدراك العبد لنفسه

ومع الرجاء يصبح الماضي بائناً للتوبة لا سجنًا للندم، ويصبح المستقبل مساحة للعمل لا ساحة للخوف، ويتحول البلاء من سبب للقنوط إلى طريق للرجوع إلى الله والدعاء والإصلاح

ولهذا فإن المؤمن بحاجة دائمة إلى جناحي الخوف والرجاء، فيخاف ذنبه ولا ييأس من ربه، ويرجو الرحمة ولا يترك العمل، ويحسن الظن بالله دون غرور، ويتوكل عليه دون تعطيل للأسباب

فالرجاء الصادق عبادة تبني القلب، وتحرره من التعلق بالمخلوقين، وتدفعه إلى التوبة والطاعة، وتحميه من اليأس، وتجعله متعلقاً برب كريم قال لعباده ودلهم بكتابه وسنة نبيه ﷺ على أن أبواب رحمته لا تغلق أمام من دعاه ورجاه وعمل للقائه